

نحو الصندوق الخشبي الصغير ، لثلاث تسيقظ زوجته وأولاده .
ودس يده الراجفة في جيبه ، فأخرج مفتاحاً صغيراً ، فتح به
الصندوق بهدوء .

لبث الشيخ لحظة مشدوهاً ، وعيناه عالقتان بالصندوق
تلعمان . ثم غاص بيده فيه ، فأخذ صرة صغيرة بيد واحدة ،
وقلب راجف ، وانتفض كالهر فهول نحو الباب ، تاركا الحوائج
مبثرة ، والصندوق مفتوحاً .

سار الشيخ مثقل الرأس ، يحمل همه على كتفيه . يسرع
الخطو تارة ، ويبطئ أخرى . وكان الهواء التار قد هدا عصفه
وخف زثيره ، فلا تسمع سوى أنات النسيم الرقيقة بينها فوق
ورق الزعرور ... وكانت السماء موشاة بنجوم متناثرات هنا
وهناك . وقد ظهر القمر شاحباً يترشح بين النجوم ، كأنه مثل
أو سكران ... وكانت القرية مغمورة بكآبة نشرها عليها ضوء

القمر الشاحب . وكان الشيخ يمشي وهو ساهم يتربح . ولم ينس
أن يعتمد عن مخفر الحارس لثلاث يقبض عليه . لقد تمثل في خاطره
كيف ساقوه إلى الحاكم لأنه سرق دراهم جاره التني ، وكيف

أقسم أنه لم يسرق ، لثلاث يفتضح وقد شاب رأسه . وذكر
ما أصابه منذ اغتال راجماً إلى داره يحمل لأولاده لقيات . وكان
يخيل إليه ، وهو يمشي ، أن تلك الأنات التي ترسلها التسمات
معناها « الدرهم ... » أما تلك الأشجار المنتصبية في الفضاء فهي
أشباح ، أو أناس يترصدونه ليقبضوا عليه جزاء يمينه التعموس
التي حلفها اليوم . وخامره خوف شديد لا عهد له به من قبل .

فكان يقشر بدنه كلما ظهرت أمامه شجرة من وراء التمزج ،
أو من بين الطريق ، كأنها الشبح . فإذا ما تبينها تنفس الصعداء
وأحس كأن ماء حاراً صب فوقه ، فيرفض جسمه عرقاً : ثم
يماود سيره بجد ، ويتلفت من حين إلى حين يمخنة ويسرة ، ينظر
إتيمه أحد ، ثم يحدق أمامه ليطمئن إلى طريقه الطويلة . وينظر
إلى الأحجار المبعثرة على جنبات الطريق ، التي تبدو كأنها جماجم
الموتى ، تلمع ، وهي صلحاء ، تحت ضوء القمر .

وخرج الشيخ من القرية وابتمد عنها ، وبلغ داراً كبيرة
منزلة قامت على رابية . وطرق سمه أسوات عبرهدة تصدر من
الدار فتقدم من نافذة الدار . فرأى النور يتدفق منها ، فسأل

دعني ، فما أخذت الدرهم نفسي ، ولا زوجتي ، ولكن لأولادي .
انظروهم كيف يبسوا من الهزال ، وسقموا من الجوع ! أيقون
بلا رغيث ثلاثة أيام وفي صناديق جاري الدنانير ؟ أيموت صغاري
من الجوع ، ولي عند (البيك) - الالمنة الله على (البيك) -
أجرة ثلاثة شهور ؟ لقد طردني ، أبها العفريت ، ولم ينقدني
أجرها . فطافقت أشكو ، فلم يصغ أحد إلى . لقد قالوا إنني
كاذب ، لأنني فقير ضعيف . وإنه صادق لأنه سيد القرية الغني
فدعني . فلم أعد أطيق . اذهب إليه ، فهو مجرم كبير . اذهب
إليه ، وارقب غشه ودسه ... فإني فقير . اخرج أنت يا قلبي
معه لأستريح . لقد طلبت بيتي قرشاً فقلت لها غداً ، وسألني بني
ثوباً ، فقلت له غداً . وبث أخجل أن أراهما - أفلا أمرق يارب ،
ويا عفريت ، ويا قلب ، لأطمعهم وأفرحهم ، وأدخل على قلوبهم
السرور ؟ » .

ولكن العفريت ، كان أصم . فها عرذا قلبه يخفق ويضرب
ضربات كأنها القنابل مسكين لم يصغ إليه أحد ، لا العفريت
ولا قلبه ...

وضاق الشيخ بنفسه ذرعاً . أيقتل نفسه ؟ لقد فكر في
ذلك ، ولكنه انصرف عن هذه الفكرة سريعاً ، وفضل أن
يفر من القرية . ثم رأى أنه لا يطيق فراق أولاده ، وقد رزقهم
وهو شيخ قد بلغ الحسین . ونجاة التمت عيناه . لقد فكر في الله .
لم لا يصل ركنيتين ، ويخلص لله النية ، ثم يدعو بدعاء تعلمه ؟
لقد سمع هذا الدعاء من شيخ القرية ، وحفظه عنه ، ورسخ في
ذهنه أن هذا الدعاء ، وفيه توسل بالأولياء والصالحين ، سريع
الإجابة ، عظيم التأثير . إذن فليدع الله . وسرعان ما قفز الشيخ
فشم عن ساعديه ، ليتوضأ ، وها هو ذا قد توضأ ، وتوجه إلى
القبلة ، يصل ، فلما فرغ من صلاته رفع يديه ، والدنيا سكون
وأخذ يدعو . وفرغ من دعائه ، وانتظر قليلاً ، ولكن المول
ما يزال يهدم بين ضلوعه ، والعفريت ما يزال يهمس في أذنه ،
والاقتباس ينمر نفسه ، والكآبة تشع حوله .

وجهد أن ينام مرة ثالثة ، وأغلق إغفاءة قصيرة ، وما لبث
أن هب من فراشه ، وقد عزم على أمر .

لقد ارتدى مطفئه المزق ، ودلف برفق ، بخطوات وثيدة

— قبضتم على القاتل ... هوني المذنب طبعاً ... سرحي ...
 أهرب؟ ... لا ... لا ...
 وارثك الشيخ وقال:
 — لا ... أنا الشيخ جاسم:
 وحدق فيه الحاكم وقال:
 — جاسم؟
 — نعم، جاسم، الذي أخذ الدراهم ...
 ومسح الحاكم عينيه بكفيه وقال:
 — معك دراهم المقتول؟ كيف أخذتها ... اقبضوا عليه ...
 وردد القائد:
 — هيا ... اقبضوا عليه ...
 واضطرب الشيخ . والتفت حوله ... ولكن لم يتقدم أحد
 ليقبض عليه ...
 وعاد الشيخ يقول:
 — أنا الذي أقسمت اليوم يمينا ، إنها يمينا كاذبة . أنا الذي
 سرت الدراهم ... لقد جئتكم بها ، والمفريت يتبعني ، يضرب
 في قلبي . خذها ... ياسيدي ... أفضل أن أجوع ، ولا أتدب
 خذها ... لا أريدتها !
 ورى الشيخ بالصرة ، وانقل بهرول ...
 وقهقه القائد ، وهو يقول:
 — رزق جديد ... هو لا يأخذها ؟ مه ... نحن نأخذها ...
 هات ، هات ...

وابتعد الشيخ عن الدار . فنظر إلى الأرض ، وإلى السماء ،
 ونظر أمامه وخلفه ، وعن يمينه وعن شماله . إنه لا يسمع الآن
 شيئا . قلبه لا يخفق كذي قبل ، وكأن جبلا رفعت عن كتفيه
 وأحس بالنسيم اللطيف يدغدغ رتته ... ورأى القمر كألطف
 ما يكون . لقد تغير كل شيء ، وها هو ذا بيتهم ، رغمًا منه
 لقد أحس بالفرح ، فانطلق يسرع في مشيه وهو يتمم:
 — آه ... لقد استرحت ... الآن أنا سعيد ... !

صالح الدين المنجد

(دمشق)

نفسه ، لم ينهره الحارس إذا رأى النور في عينيه ، ويسمح للحاكم
 أن ينير غرفته؟ ثم حدق في ثقب من النافذة ، فرأى مائدة
 حفلت باللحوم والأطعمة والأشربة . ورأى الحاكم ، وقائد الجند
 يكرعون الشراب كرعًا ، ويلتهمون اللحم التهامًا ، فارتد بصره ،
 وذرف دموعًا ، وصعد حسرة .

وتعالت أصوات المرابين . لقد صار في أمره ، إنه هنا قائد
 الجند الغضاليل ، ذو العصا الضخمة ... ولئن طرق الباب ،
 فإنه ليخاف عصاه ، وهو يخشى أن ينهره الحاكم ، أو يسلمه
 للجند . إنه الحاكم ، لا يخيفه أحد ، ولا يحفل بإنسان .

وهجت على رأسه فكر سود كالحفافيش ، فذهل . ونبهه
 همس ناعم . وخفق قلبه . وهم أن يمود . فارتجف ، واصطكت
 ركبته خوفًا من المفريت الذي يرافقه ، والذي سيلقاه في غرفته ،
 والذي سيؤنبه على السرقة ، ويأجف عليه برد الدراهم ، فضل
 أن يضربه القائد ألف ضربة ، وأن ينهره الحاكم ألف مرة ، على
 وخزات المفريت ، ولدمات الضمير .

وتقدم من الباب ، ومد يده المرتجفة ، فدقته دقات ضعيفة ،
 وقلبه يخفق .

لم يسمع الشيخ جوابًا ، فلقد كانت عربدات السامرين تحول
 دون سماع دقات الباب ؛ فأعاد طرق الباب مثنى وثلاث ، ورجاء
 هذات الأصوات ، وسمع صوت ينادى فيشق سكون الليل:
 — مين؟

فتعلم الشيخ ... وعاد الصوت يسأل:

— مين ...؟

فنادى الشيخ:

— أنا ... أنا .

— من أنت؟ ..

واقرب الصوت ...

— إنها جريمة ، لا بد ... أوف! في النهار شغل ، وفي الليل
 شغل ... وفتح الباب ، وظهر الحاكم ، ومن ورائه القائد .

وأخذ الحاكم يحدق في الشيخ ، ولقد حسبه خادمه أحمد:

— أحمد ... شو ، في جنابة ... مين مقتول ... مين ...

وقال القائد وهو يتلثم: